Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

مصر والشرق الأدنى القديم

(١)

مصر

الجزء الأول
منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

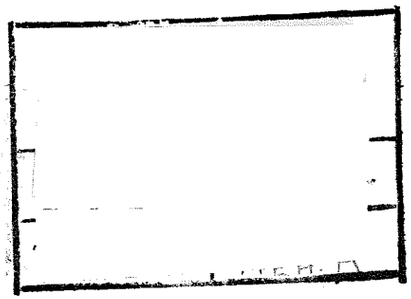

الطبعة الرابعة

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الاسكندرية

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمـــد وآله الكرام

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمـــد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، فى العالمين انك حميد مجيد»

إهداء

الى من كان سبب وجـــــودى فى هـــذه الدنيـــــا

الى من اوصلنى بنسبـــه الى الدوحـــــة الطـــــاهرة

الى من ربانى على حب الله ورســـوله وآل بيتـــه الكـــرام

الى من كنـــت ـ وأخـــوتى ـ أحـــب اليـــه من نفســـه

الى من غـــرس فى نفسى ـ بسلوكه ـ العـــزة والكـــــرامة

الى من تركنى بجسده ، وبقيت مبادؤه تهدينى سواء السبيل

الى من جعـــــل ربى طاعتـــــه مـــن طاعـــة الله

الى من أوصـــانى ربى بأن شكـــــره من شكـــــــر الله

الى من أمرنى ربى بأن أخفض له جنـاح الذل من الرحمـــة

الى من حـــــــرم ربى نهـــره حتى بكلمـــــــة أف

الى من أمرنى ربى بأن أقـــول له دائـــما قـــولا كـــريما

الى من أمـــــرنى ربى بـــأن أســـأله الرحمـــــــة له

الى من جعـــــل رســـول الله بره أحب الاعـــمال الى الله

الى من جعـــــله رســـــول الله سبيـــــلى الى الجنـــــة

الى من أمرنى رســـول الله ببره حتى بعـــد لقـــائه لربه

بالصلات عليـه والاستغفار له وانفاذ وعـــده وصلة رحمـــه

الى أبى : رضوان الله عليه

أهدى هذه الدراسة

تقديم

مصر : اسم قدسته الاديان ، وكرمته كتب السماء ، من توراة وانجيل وقرآن مجيد ، انه سجل مفاخر الانسان ، ومرآة أمجاد البشر ، وصرح الحضارة بأسمى معانيها ، انه التاريخ نفسه بجميع حقائقه ، ومن ثم فقد كان اسم مصر متلازما مع المصريين منذ عصور التاريخ القديم ، له أساس تاريخى وجغرافى ، ودينى ونفسى ، وليس اسما نشأ لمجرد ظروف سياسية يمكن تغييره فى ظروف سياسية أخرى ، فهو أقدم اسم يحمله أقدم بلد فى الدنيا ، اسم حملته مصر الفرعونية ومصر الاسلامية ومصر الحديثة ، على مدى عدة آلاف من السنين •

مصر أم العروبة ، ومنارة الاسلام ، وقلب العالم العربى ، وواسطة العالم الاسلامى ، وحجر الزاوية فى العالم الافريقى ، مصر كنانة الله فى الارض ، ودرته الخالدة فى الشرق ، ومحور التاريخ العالمى •

مصر ذلك البلد العظيم الذى نعيش على أرضه ونستظل بسمائه ، ونشرب من ماء نيله ، أعطاها الله العديد من المميزات ، وحبتها الطبيعة بالفريد من الصفات ، ومن هنا فليس عجبـا أن كانت «أول أمة» فى التاريخ نمت فيها عناصر الامة بمعناها الكامل الصحيح ، وبعدها كانت «أول دولة» بالمعنى السياسى المنظم ، نجحت فى أن تؤسس «أول ملكية» عرفتها البشرية ، وفى أن تحافظ على وحدتها القومية عبر التاريخ ، وما أن يمضى حين من الدهر حتى تصبح أعظم قوة سياسية عرفها التاريخ القـديم •

ثم أول امبراطورية حققت لنفسها نطاقا ممتدا من السيطرة والنفوذ

وصل بسرعة الى شمال سورية والى مشارف النهرين ، كما وصل غربا الى برقة ، وجنوبا حتى أثيوبيا بمعناها الواسع القديم ، وظلت تلك الامبراطورية بعامة أعظم حقيقة سياسية فى الشرق الادنى القديم قرابة ألف متتالية من الاعوام ، أو ألفين متقطعة •

هذا فضلا عن أن مصر لم تسبق العالم كدولة سياسية فحسب ، وانما هى أطول دولة حافظت على وحدتها القومية عبر التاريخ ، فلم يحدث خلال ستة آلاف عام من الحكم المنظم ، أن انفرط عقد وحدتها وتدهورت الى انفصاليات اقليمية ، الا فى حالات نادرة شاذة ، أغلبها مفروض من قوى أجنبية دخيلة ، كغزو الهكسوس حين انفردوا بالدلتا ، وظل الصعيد معقل الدولة الوطنية المستقلة ، كما كان فى البدء قاعدة التوحيد •

وهكذا بقيت مصر — وستبقى ان شاء الله — شامخة تتحدى المعتدين ، وتمتص الحضارات وتضيف اليها ، كما تمتص مطامع الغزاة وتلين من ضراوتها ، حتى تبددها آخر الامر بالصبر والعزم ، بالكفاح والمقاومة ، وبشىء آخر غير منظور ، وان كان محسوسا ، عراقة التاريخ الرابض فى الصخور ، وعلى ضفاف النيل ، فى الاهرامات والمعابد والهياكل والتماثيل ، والذى كان — ولايزال وسيظل ان شـاء الله — دليلا على عظمة هذا الشعب الذى آمن بربه وبوطنه ، ايمانا لا نعرف أنه اتفق لكثير من غيره من شعوب الدنيا ، ثم أحب هذا الوطن حبـا مصدره اليقين ، وليس الهوى ، بحيث أضحى لدى أصحابه من قواعد الايمان •

ومن ثم فقد استحق أن يتصدر تاريخ الدنيا فى عصره ، وأن يحتل صفحة الذهب من هذا الوجود ، وحسبنا أن تاريخ مصر قد أضحى نغما حلوا فى فم الدهر ، يغنيه فيطرب له الكون وسيظل يطرب ما بقيت مصر ، وبقى فى الدنيا من يقدر تاريخ مصر ، وهو أمر يجمع العالم كله عليه ، وعلى حد تعبير مؤرخ أوربى كبير ، ولا نقـول مصرى ، لاتكاد اليوم توجد جـامعة فى العـالم تحترم نفسها ، ليس فيها كرسى للدراسات

المصرية القديمة ، أو كما يسمونه علم المصريات (Egyptology) بل انهم هناك فى أوربا وأمريكا قد أنشأوا الاقسام والمعاهد المستقلة لدراسة «علم المصريات» ، وان كان الامر عندنا فى مصر والعالم العربى للاسف يختلف عن ذلك كثيرا ، حتى أصبح عدم العناية بتاريخنا المصرى والعربى فى عصوره القديمة أمرا تكاد تتميز به جامعاتنا •

وبعد : فهذه الدراسة انما تقدم لمحات خاطفة من أمجاد مصر ، وهى أمجاد تكاد لا تحصى ، وكلها تثبت دونما ريب أن المصريين القدامى انما قد قاموا — منذ نشأة حضارتهم على ضفاف النيل — بدور هام فى تاريخ الانسانية وحضارتها ، فقد ابتكروا الكثير من المنجزات التى ساعدت على تقدم المدنية ، وقاموا بنشر حضارتهم بين جيرانهم من الشعوب •

كانوا هداة وعلماء ومرشدين ، يوم أن كانت الدنيا طفلا يحبو فى جهالة القرون ، نقشوا على الحجر ، وكتبوا على الورق ، واهتدوا الى معرفة الاله الواحد الاحد ، يوم أن كانت الشعوب الاخرى تضطرب جهلا بين العديد من الالهة ، ينسبون اليها ما يعجزهم من ظواهر وأحداث وعرفوا العدل والحق والحرية وآمنوا بالقيم المثلى ، وانتظمت فى بلادهم الادارة ، ونمت لديهم مقومات الامـة ، يوم كانت الشعوب الاخرى تعيش فرقا متناثرة وقبائل متناحرة ، قانونها الحق للاقوى ، وملاك تصرفاتها غريزة غشوم هوجاء •

غير أن المباهاة بالتاريخ المجيد العـريق لا ينبغى أن تكون مجرد مباهاة بتذكر أمجـاده ، وانما كذلك بالعمل من أجل رفعـة الوطن ، بالاستزادة من العلم والتعمق فيه ، بالتمسك بالخلق والقيم والفضائل ، بالايمان بالله ورسوله ، بحب مصر والعمل من أجلها ، حتى نكون أكفاء للمجد العريق ، جديرين بالانتساب الى هؤلاء الذين صاغوا يوما تاريخ العالم ، حينما كان العالم يعيش فيما قبل التاريخ •

بقيت الاشارة الى أمر هام فى هذه الدراسة ، نتبعه للمرة الاولى ،